قراءة تحليلية لمسائل في تشييد القْصَر من خلال كتاب "القسمة وأصول الأرضين" لأبي العباس أحمد الفرسطائي (ت 504هـ)

An analytical reading of challenges of ksar building through the work "the division and the origins of the two lands" by Abu Al-abbas Al-forastai (d 504 ah)

Une lecture analytique des enjeux de la construction du ksar à travers l'ouvrage "la division et les origines des deux terres" de Abu Al-abbas Al-forastai (d 504 ah)

صلاح الدين هدوش[1]*، عبد الكامل عطية[2]

تاريخ الإرسال:2020/02/04 تاريخ القبول: 2020/09/05 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص:

شهد البحث في حقل الآثار الصحراوية اهتمام الدارسين في العقود الأخيرة خاصة ما تعلق بقصور صحراء الجزائر، غير أن صعوبات الباحثين في هذا الميدان كثيرة منها قلة المادة الخبرية في المصادر العربية، لذلك يهدف مقالنا إلى تقديم قراءة تحليلية لمسائل في تشييد القصور الصحراوية أشار إليها أبو العباس أحمد الفرسطائي (المتوفى سنة 504هـ) في مؤلفه القسمة وأصول الأرضين، حاولنا به الوقوف على قضايا اختيار أرضيات القصور وتخطيطها وبناء عمارتها على اختلاف أنواعها الدينية، العسكرية، والمدنية، وما اتصل بها من حقوق وواجبات الساكنة.

الكلمات المفتاحية: القصر؛ الفرسطائي؛ القسمة؛ العمارة الإباضية، الشوارع.

Abstract :

Research in Saharan archeology has aroused the interest of researchers in recent decades, in particular that linked to the "Ksour" in the Algerian desert. Indeed, the difficulties of researchers in this field are numerous, especially the lack of information in Arab sources. In this sense, our article aims to provide an analytical reading of the challenges of building Ksour of the desert addressed by Abu Al Abbas Ahmed Al-Forastai (died in 504 Hegira) in his work "the division and the origins of the two lands ". We tried to evoke the questions of the choice of Ksour lands, their planning and the construction of buildings according to their religious, military and civil types as well as the rights and duties of the inhabitants.

Keywords: The ksar; al-forastai; division; Ibadite architecture; the streets.

Résumé :

La recherche en archéologiesaharienne a suscitél'intéret des chercheurscesdernièresdécénies, en particuliercelleliée aux "Ksour" dans le désertalgérien. En effet lesdifficultés des chercheursdanscedomainesontnombreusessurtout le manqued'informationsdans les sources arabes.

*المؤلف المراسل

[1]Salah-eddineHeddouche, Batna 1 University, Algeria, salaheddine.heddouche@univ-batna.dz
[2]AbdelkamelAttia, Eloued University, Algeria, attia-abdelkamel@univ-eloued.dz

Danscesens, notre article vise à fournirune lecture analytique des enjeux de construction de Ksour du désertabordées par Abu Al Abbas Ahmed Al-Forastai (décédé en 504 de l'Hégire) dans son ouvrage "la division et les origines des deuxterres". Nous avonstentéd'évoquer les questions du choix des terres des Ksour, de leurplanification et de la construction des bâtimentsselonleurs types religieux, militaires et civilsainsique les droits et devoirs des habitants.

Mots clés : le ksar; al-forastai; division; l'architectureibadite; les rues

مقدمة

يعتبر كتاب القسمة وأصول الأرضين مصدر تراثي غني المعلومات عن فقه عمارة القصور الصحراوية التي ميزت الجهات الجنوبية للمغرب الإسلامي عموما خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، خاصة ما تعلق بمسائل تشييد الْقَصر وتخطيط وتوزيع وحداته العمرانية وشق شوارعه وطرقه وأزقته وإقامة دوره ومساكنه وأسواره، وما يتصل بها من حقوق وأحكام حسب قواعد شرعية استند عليها المؤلف أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، أهمها قاعدة "لا ضرر ولا ضرار".

حاولنا في هذه الدراسة تقديم تعريف موجز لأبي العباس أحمد الفرسطائي، والإجابة عن إشكالية مفادها: ما قيمة كتاب القسمة وأصول الأرضين في مجال العمران والعمارة الإسلامية؟ وكيف نظر المؤلفلمسائل تخطيط القصور؟ وماهي أهم قواعد وأسس تشييد العمارة القصورية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي؟

1- تعريف موجز لأبي العباس أحمد الفرسطائي

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي، أصله من فرسطاء بنفوسة(عمي، 2000، صفحة 48)نشأ وترعرع في أسرة متعلمة، والده العالم الفقيه أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر(الفرسطائي، 1997، الصفحات 24-26). قضى أبو العباس أحمد الفرسطائي شبابه في "تمولست" (جنوب شرق تونس)، ودرسه عالم زمانه الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(الفرسطائي، 1997، صفحة 26)، كما أخذ العلم عن أبي محمد ويسلان بن أبي صالح، وسعد بن بيفاو في أمسنان بجبل نفوسة(عمي، 2000، صفحة 48)، وذكر الدرجيني (ت 670هـ) بحسب ما رواه أبو عمرو عن أبي العباس أنه قرأ على الشيخ سعدون وحضر مجالسه(الدرجيني، 1984، صفحة 445).

ذكر أبو القاسم عبد الرحمان بن عمر فقال: "رحم الله أحمد بن محمد كان في حياته بيت علم يفيد به كل طالب وكل ذي حاجة"(الدرجيني، 1984، صفحة 443)، ووصفه الباحثون والدارسون بأوصاف كثيرة، قيل عنه حاد الذكاء، ومحب للعلم، معارفه عميقة، فقيه موسوعي(الفرسطائي، 1997، صفحة 7)، وأعماله ذات جودة"(ليفيتسكي، 2007، صفحة 23).

زار مدينة قابس وأقام في وادي ريغ(ليفيتسكي، 2007، صفحة 23)، وتوفي شهر ذي الحجة عام 504 هـ /1111م، وقبره في قرية أجلو الغربية قرب بلدة عمر ناحية تقرت جنوب شرق الجزائر(عمي، 2000، صفحة 49)، ترك حوالي خمسة وعشرين مؤلفا منها: كتاب القسمة وأصول الأرضين، حققه الشيخ بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح ناصر، وطبعته المطبعة العربية بغرداية – الجزائر – في نسخة ثانية عام 1997، وكتاب الجامع، كتاب في التوحيد، مؤلف في الديات، وآخر في الدماء والجراحات، كتاب العزابة؛ والمسمى كذلك "جامع الشيخ أبي العباس"، كتاب تبيين أفعال العباد، إضافة إلى الألواح (كتاب تركه في الألواح قبل وفاته مباشرة)، وكتاب الجنازة(الدرجيني، 1984، الصفحات 443-444).

2- أهمية كتاب القسمة وأصول الأرضين

يرجع تدوين كتاب القسمة وأصول الأرضين إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، تتضح قيمته في حقل العمارة الإسلامية لتناوله عمارة القصور الصحراوية التي تشح المعلومات عنها في المصادر الجغرافية والتاريخية العربية، زودنا بمسائل في تخطيط القَصر، وإنشاء بنيانه وعمارته، وإقامة أسواره وخنادقه، وشق شوارعه وأزقته، وحقوق الناس وواجباتهم إزاء كل ذلك.

الكتاب مصدر مهم في فقه العمارة الإسلامية، ألفه الفرسطائي وفق منهج فكري واضح ومنتظم سلكه في كل أجزاء كتابه، فقد قسم الكتاب إلى أجزاء وأبواب تضم مسائل كثيرة متفرعة قلما تتكرر، وجاء أسلوبه بمستوى لغوي ضعيف نوعا (الفرسطائي، 1997، الصفحات 58-62)، يحوي هذا المصدر معارف عن العمارة في الجنوب الصحراوي في بيئة إباضية(الفرسطائي، 1997، صفحة 13)، ومسائل متنوعة في الشركة وبيان أوجهها، والقسمة بأنواعها فيما تجوز به وما لايجوز، ومن القضايا المهمة التي تناولها الفرسطائي قضية الصيانة والترميم، وهي عامل أساسي في وصول الأثر إلينا بهيئته التي عليها(عثمان، 2015، صفحة 14)، وهذا المصدر الذي استند بحثنا عليه يعتبر معجم لمصطلحات عمرانية ومعمارية استخدمها الفقهاء في سياق أحكامهم، والتي وضحت المسائل المتناولة(عثمان، 2015، الصفحات 18-19).

تناول صاحب كتاب القسمة وأصول الأرضين ظاهرة عمرانية هي "القصور"؛ هذه الأخيرة منتشرة آثارها في ربوع صحراء المغرب العربي عموما وصحراء الجزائر خصوصا، تمثل إنتاج إنساني وتراث ثقافي مادي قاوم الزمن، وبقي شاهدا على إبداع معماري في مناطق وصفها كثير من المؤرخين والرحالة والجغرافيين أنها صعبة التساكن.

3- مفهوم القصر

من خلال بحثنا حول مدلول القْصَر في مصادر تاريخية وجغرافية، ومراجع وبحوث تناولت قصور المغرب العربي، وجدنا تباين في المدلولين اللغوي والاصطلاحي، لذلك حاولنا التركيز على تحديد مفهوم القْصَر حسب مميزات القصور المنتشرة جنوب الجزائر.

3-1 لغة

كلمة قَصْر تشابهت في اللغات القديمة السامية واقتبستها الرومانية، وتعني البيت الكبير الذي يتبع خاصة القوم(ثويني، 2005، صفحة 566)، أما من ناحية التعريف اللغوي للقَصْر يعرف بأنه المنزل(ابن منظور، د.ت، الصفحات 99-100)، وسمي كذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس، مصداقا لقوله تعالى: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ}- سورة الرحمن، الآية 72-، وجمع قَصْر قُصور، مثلما جاء ذكره في القرآن الكريم، كقوله تعالى: {تَبَارَكَ الذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا}- سورة الفرقان، الآية 10 -، ويعرف أيضا أنه ما شيد من المنازل والبيوت وعلا(العزاوي، 2013، صفحة 148)، وبصيغة أخرى هو بناية فخمة واسعة، وبالرجوع إلى المصادر التاريخية، فهذا التعريف الأخير يقترب من ما هو متداول بها، حيث القَصْر مقر الخليفة أو الحاكم وأفراد عائلته وبطانته(حَملاوي، 2001، صفحة 32)، وما يضمه من غلمان وخصيان، كما يطلق لفظ القَصْر على سكن علياء القوم وأغنيائهم(بن قربة، 2011، صفحة 452).

وعلى العموم كانت القصور معروفة قبل الإسلام في حضارات الشرق واليمن، كما هو قَصْر غمدان(ثويني، 2005، الصفحات 566-567)، وعرف تاريخ الإسلام أول قَصْر في مدينة الكوفة -التي أسست سنة 17هـ-(الحموي، 1977، صفحة 491) بما يدعى قَصْر الإمارة أو قَصْر الكوفة، الذي بني لسعد بن أبي وقاص متاخما للمسجد الجامع(الطبري، د.ت، صفحة 649)، ليطغى بناء القصور في العهد الأموي لما توفره من رفاهية لخلفاء بني أمية، والذي يعتبره بعض الباحثين أولى حالات بناء القصور في العمارة الإسلامية(ثويني، 2005، الصفحات 566-567)، منها على سبيل المثال قَصْر الخضراء(موسى، 2008، صفحة 156).

3-2 اصطلاحا

من ناحية الاصطلاح تتسع دلالة القْصَر في المناطق الصحراوية عما قدمناه لغويا، الأستاذ علي حملاوي يعرفه أنه: "قرية محصنة أو بالأحرى تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية (صورة -1-)، تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة، يحيط بهذه التكتلات أحيانا سور سميك تتخلله مزاغل ومدعم بأبراج، وأحيانا تخلوا بتاتا من مثل هذه العناصر الدفاعية، ولكن تعوض بجدران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكافة أرجائها"(حَملاوي، 2001، صفحة 32).

أما الأستاذ عبد الصمد زايد وضح الْقَصر أنه: "جملة من غرف عديدة متلاصقة، تفتح على ساحة داخلية غالبا ما تتخذ شكلا هندسيا مستطيلا أو مربعا أو غيرهما، وتتوزع هذه الغرف التي قد يتجاوز عددها في بعض الحالات ثلاثمائة على أكثر من طابقين في أغلب الأحيان، وقد يصل عدد الطوابق إلى خمسة في بعض القصور الضخمة، وتمتلك كل أسرة من أسر القبيلة غرفة أو أكثر لتخزن فيها العلف والحبوب والزيت والتمر، وما إلى ذلك مما تحتاجه في حياتها"، وهو يختلف عن تعريف الأستاذ علي حملاوي في جوانب عدة وظيفية واجتماعية وعمرانية(زايد، 1992، الصفحات 7-8)،حيث المقصود منه ليس القصور الصحراوية بل القصبات أو المخازن الجماعية المخصصة لتخزين المؤونة.

والفرسطائي يسمي الْقَصر قصرا أو منزلا؛ ويجعله فضاء عمراني يجاور الحقول والبساتين، محاط بخندق وسور تتخلله مداخل وأبواب، يميزه شارعين رئيسيين ودروب ضيقة وأزقة مغلقة، وزعت مساحاته على الساكنة لبناء الدور والمساكن، وخصصت مساحات أخرى لمعالم عمرانية مشتركة مثل المسجد والسوق والساحات، يحتمي الساكنة بقصرهم من الذعار والسارقين وبه يخزنون محاصيلهم وأقواتهم(الفرسطائي، 1997، صفحة 161،178،190).

وتتفق أغلب الدراسات الحديثة في تعريفها للْقَصر أنه: "الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا، الذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي، وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والطقوسية والإجتماعية والتجارية، ووقت الحروب للاحتماء من هجوم العدو، وفي هذه الحالة يتشكل القصر من سور فتح به مدخل واحد أو ما يعرف بفم الْقَصر، ولمزيد من الحيطة والحذر يدعم ببرج أو برجين للمراقبة (حَملاوي، 2001، صفحة 35).

4- بعضأنواع وخصائص القصور

يمكن تقسيم القصور إلى عدة أنواع حسب شكلها العام– مثلا-، ونذكر منها القصور المستطيلة مثل قْصَو تماسين (شكل -1-)، أو الدائرية مثل قْصَو ورقلة(قبابلة، 2010، الصفحات 60 -63)أو البيضوية مثل قْصَو ليشانة، كما يميز القصور الصحراوية اختلاف مواضعها، حيث نجد قصور مرتفعة توجد في أماكن عالية، فوق قمة جبل، أو هضبة أو ربوة، مثل قصري تماسين وغرداية، وقصور منخفضة كامتداد للقصور المرتفعة، توجد حول نقاط المياه وسهول الفلاحة والمراعي(بوطالب، 2010، صفحة 14) مثل قْصَر فرفارناحية الزاب الغربي، قْصَر تمرنة جهة وادي ريغ.

من ناحية التسمية؛ الْقَصر غالبا ما ينسب إلى ولي صالح باعتباره مؤسس الْقَصر أو إليه يرجع الفضل في لم شمل سكانه، مثل قْصَر خنقة سيدي ناجي(حسين، د.ت، صفحة 11) في الزاب الشرقي، أو إلى الاتجاهات مثل الْقَصر الظهراني (الشمالي) أو الْقَصر القبلي (الجنوبي)، أو إلى لون مادة بنائه مثل الْقَصر الأبيض والْقَصر الأحمر، كما ينسب أحيانا إلى القبيلة أو الجنس المستقر به مثل قْصَر أولاد يعقوب بالزاب، وأحيانا يرفق بكلمة الْقَصر الصفات الدالة على

موقعه أو قدمه أو حداثة بنائه أو حجم عمارته وامتداد نسيجه العمراني، مثل القْصَر التحتاني، والقْصَر الفوقاني، والقْصَر القديم، والقْصَر الجديد، والقْصَر الكبير (حَملاوي، 2001، صفحة 36). ومنه نقول أن القصور أخذت تسميات لها دلالات مختلفة منها الدلالة القبلية أو الإسمية، وهناك دلالات طبوغرافية من خلال المكان الذي تموضع عليه القْصَر أو دلالات إنشائية تعكس مواد بنيانه(علوي، 2011، صفحة 217).

الفرسطائي في كتاب القسمة وأصول الأرضين يقسم القصور إلى أنواع متعددة بحسب معايير مختلفة؛ فمن ناحية زمن تشييد القْصَر يجعل القصور نوعان إما قصور قديمة أو محدثة، ومن حيث ملكية القْصَر قد نجد قْصَر لرجل واحد أو قْصَر للخاصة أو للعامة، وقد تكون القصور تضم كل قبيلة على حدى وهنا ربما تأخذ مسميات القبائل الساكنة للقْصَر(الفرسطائي، 1997، الصفحات 209-217).

5- مسائل في تشييد القصر

تشمل ما تعلق باختيار وتخطيط الأرضيات، بناء السور، إقامة الخندق والأبواب، المسجد، الشوارع، الساحات، السوق، المنازل، مع الإشارة إلى مواد وتقنيات البناء المستعملة في بناء عمارة القصور الصحراوية.

5-1 اختياروتخطيط الأرضية

بين الفرسطائي مسائل في إقامة القصور الصحراوية وبناء عمارتها بمختلف أنواعها من وجهة النظر الإسلامية، وما يجوز فعله وما لا يجوز في ظل قواعد شرعية، ووضح طريقة اختيار وتحضير الأرض لبناء القْصَر وتخطيطه وتحصينه وتحديد مداخله الرئيسية، ومادة البناء وطول البنيان وقصره وسعة الأساس بحسب أهل الصلاح وأهل النظر منهم(الفرسطائي، 1997، صفحة 222).

وأشار الفرسطائي في مسألة اختيار أرضية القْصَر أن يقوم القوم أو جمع من الناس ببناء قصرهم في أرض معلوم صاحبها، سواء أرض القوم نفسهم، أو أرض غيرهم بشرط أن يأذنوا لهم بالبناء فيها، أو في أرض لم تكن لأحد، وهنا يراعى عدم التعدي على ملكيات الغير، ويتم تقاسم أرض القْصَر بين القوم على قدر حصصهم فيه، أي لكل واحد نصيب من الأرض، وربما توزع الأراضي بحيث لا تجمع الأضداد من الساكنين كما هو متعارف عليه في أسس إنشاء المدن الإسلامية.

بعد تحديد أرض بناء القْصَر، يتم نزع ما في هذا الموضع من العوائق مثل الأشجار والحيطان – إن كان الموضع مبنيا مسبقا-، والسواقي وغيرهم، فعلى سبيل المثال الأشجار والحيطان يمكن أن تميل وتسقط على القْصَر أو يستعملها العدو ليرميهم من فوقها أو يدخل قصرهم منها(الفرسطائي، 1997، الصفحات 219-221)، وفي ذلك خطر على أهل القْصَر لزم إزالته.

في تخطيط الأرضية يذكر الفرسطائي أن يجعل للْقَصر أربعة أبواب وشارعين رئيسيين، يمتد أحدهما من الشرق إلى الغرب يربط الباب الشرقي بالباب الغربي، وثانيهما يمتد من القبلة إلى الشمال يربط الباب الجنوبي بالباب الشمالي، وهنا وضح مسألة مهمة وهي التخطيط المسبق الذي يراعي ضبط مداخل الْقَصر لتسهيل مراقبة الداخلين والخارجين، وتقدير سعة الشوارع حتى تتناسب ولا تضيق، وهنا نلحظ فكر عمراني أخذ في الحسبان أثر البيئة (حيث المناخ الحار والجاف) في اختيار جهات امتداد طرق الْقَصر، فوجهت الشوارع بشكل يتوافق مع البيئة الصحراوية من الشمال إلى الجنوب، وذلك بما يخالف اتجاه حركة الشمس المتسببة في ارتفاع درجات الحرارة، لأن في هذا التوجيه كسب للتيارات الباردة نسبيا القادمة من الشمال، وعدم تعرض واجهات المنشآت السكنية لأشعة الشمس سوى لمدة قصيرة – وقت الظهيرة–، لأن حركية الشمس شرق – غرب مع علو جدران المنازل تكسب الظلال أغلب النهار فيساعد ذلك في برودة جو القصور، كما أن الدروب التي اتخذتاتجاها يتفق وحركة الشمس – أي شرق غرب– قد تتصف إلى حد ما بضيقها وكثرة التوائها، كما ترك ذلك أثره الواضح في زيادة نسبة الساباطات التي تعلو الطريق؛ ونقصد هنا عدد من الشوارع المسقفة (المغطاة) التي توفر الظل وتحمي المارة من أشعة الشمس الحارقة ومن أذى الرياح المحملة بالرمال والأتربة.

5-2 بناء السور

يذكر ابن أبي الربيع (ت272هـ) في مؤلفه "سولك المالك في تدبير الممالك" عن وجود وسائل كثيرة يحقق الإنسان بها أمنه فقال: "لما كان الشر يدخل على الإنسان من وجوه يأتي ذكرها، جعل له ما يتحفظ به من وقوع الشر وما يدفعه وما يداويه إذا وقع، فإذا كان الشر من أهل مدينة أخرى يدفع ذلك بالأسوار والخنادق والحراس، ثم إذا وقع بالمحاربة والقتال"(ابن أبي الربيع، 1996، الصفحات 93-94)، وتحصين القصور وتأمين وسائل الدفاع من البناء الواجب شرعا باعتباره من مقاصد الإسلام(شاكر، 1997، صفحة 433).

لقد ميز القصور تطويقها بأسوار تتخللها أبراج مراقبة للتحكم بعملية الدخول إلى الْقَصر والخروج منه، قد يكون هذا الطوق بشكل سلسلة متصلة من الجدران العالية المحيطة بها من جميع الجهات، أو تكون مشكلة من جدران المنازل المحيطة، وتفتح به مداخل رئيسية يختلف عددها من قَصر لآخر، فمنها ما يحتوي على مدخل واحد، ومنها من يحتوي على مدخلين، ومنها من تتعدد مداخله، تتخذ أسماء مختلفة حسب الجهة التي تؤدي إليها، كأسماء القصور المجاورة، أو اسم الواحة أو أشجارها، أو أسماء بعض المعالم العمرانية المهمة (مثل الجامع أو السوق)، أو الاتجاهات (شرق، غرب، شمال أو جنوب)، تتشكل في الغالب من مصراعين كبيرين تغلق عند الضرورة، ولمزيد من التحصين والحماية يحفر حول الْقَصر خندق، يملأ بالماء عند الحاجة.

أخذت مسألة بناء الاستحكامات الدفاعية في القصور الصحراوية اهتمامالفرسطائي، وأكد على ضرورة إقامتها لما لها من أهمية في أمن الساكنة وحماية المدافعين، ومنع خطر العدو، وتعزيز وسائل وسبل الدفاع، حيث يعتبر السور أهم هذه التحصينات، ونستخلص من كتاب القسمة وأصول الأرضين أنه بمثابة سلسلة متصلة من الجدران العالية تحيط القْصَر غاية بنائه منع العدو وخطر الطعن، وقد يتشكل السور –كما سبق ذكره– من جدران المنازل والغرف والبيوت المحيطة، على أن تبنى هذه الأخيرة بما يكفي لمنع العدو، ويبني القوم سور قصرهم على قدر سهامهم من الأرض، ويبنى طولا وعرضا لما رأوه أصلح لهم أو الانتهاء إلى موضع يجعله لهم أهل العلم(الفرسطائي، 1997، صفحة 215)، وهنا مسألة مهمة؛ وهي الأخذ برأي أهل الصلاح والعلماء والمعماريين والعارفين في قضايا العمارة، حتى تصلح جهودهم وتحقق غايات بنيانهم.

زودنا الفرسطائي تقنيات في تشييد عناصر عمارة السور، على سبيل المثال في بناء الأسس يراعى سعتها بما تقدر على حمله من البنيان، وإلا كان الأساس ضعيفا قد يتسبب في انهيار العمارة، كما نبه إلى دعم جدار السور مثل إقامة "الرفادة لتقوية السور" أي جدار متعامد مع السور على شكل مثلث يحفظه من الميلان أو السقوط، مع إمكانية تزويد هذا الاستحكام الدفاعي في نهاياتهالعلوية بزوائد أو شرفات(الفرسطائي، 1997، الصفحات 195-196-206) تمكن من مراقب جوانب السور الخارجية أو تحركات العدو أو تسديد النبال والاحتماء منها(عياش، 2006، صفحة 114).

من الأمور التي نبه إليها صاحب القسمة وأصول الأرضين منع إضعاف حصانة السور كأن تفتح أبواب للبيوت خارجة منه، بل حرص على دعم السور باستحكام دفاعي آخر هو "الفصيل" بمثابة سور صغير يجعل أمام سور القْصَر(الفرسطائي، 1997، الصفحات 209-213) أي بمنزلة خط دفاع أول(زناتي، 2011، صفحة 300)، وهنا مسألة مهمة وهي ظاهرة تعدد أسوار القْصَر، وفي هذه الحالة يجب ضبط ارتفاع السورين بما يناسب المراقبة، ومعناه أن السور الداخلي يكون أكثر ارتفاعا من السور الخارجي حتى يسمح برصد العدو. وأكد الفرسطائي على مراقبة مدى صلاحية السور وتجديده في حال سقوطه أو نزوله أو قصره، وهنا الإشارة إلى مسألة غاية في الأهمية هي صيانة وترميم السور، ويذكر المؤلف:"إن انهدم السور حتى اختلط حجره وطوبه وطينه"(الفرسطائي، 1997، الصفحات 196-215)، وهي إشارة واضحة إلى مواد بناء السور التي تراوحت بين الحجر والطوب والطين.

5-3 إقامة الخندق

زيادة على السور والفصيل ولتقوية سبل حماية القْصَر ضد خطر العدو، أوضح الفرسطائي أنه يمكن لقوم القْصَر حفر خندق إذا لم يكن في حفره مضرة، غير أنه لم يوضح طبيعة هذه المضرة مثل الاعتداء على أرض الغير، أو فقدان كميات كبيرة من المياه المهمة في المناطق الصحراوية الحارة، والضرورية للشرب أو السقي أو الاستعمال في الحياة اليومية، غير أنه أشار إلى مضرة المياه على الحيطان(الفرسطائي، 1997، الصفحات 210-213)، حيث تسربات مياه الخندق قد

تسبب أضرار على المنشآت المعمارية خاصة عمارة السور الدفاعي المجاور، كما أن الفرسطائي لم يبين مصادر المياه ومنشآتها التي يعتمدها القوم لتزويد الخندق بكميات الماء اللازمة مثل مياه الوديان والأمطار والصهاريج والقنوات المائية، واكتفى مشيراً ا أنه في حالة الخوف من العدو وأراد القوم عمارة الخندق، فإنه يجوز لهم أن يكسروا العين إلى الخندق، وهذه الطريقة ربما تكون غير كافية لملأ الخندق في حال قدم العدو على غفلة، وقد تحد من عمق أو سعة الخندق.

أوضح الفرسطائي بعض المسائل الوظيفية والعملية مثل إقامة قناطر على الخندق تسهيلا لعبوره، وقضايا في الصيانة والترميم مثل كنس الخندق إذا دفن أو ردم ودفع مسببات التلف والتدهور، أما إن انخرق وفسد يتآخذون على إصلاحه بما قدروا عليه من البنيان بالحجر والخشب أو ما أشبه ذلك، أي مراقبته وإقامة ما إنهار من أجزائه بمواد مشابهة للمواد السابقة لها في طبيعتها وسعة البناء بها، والامتناع عن إلحاق الضرر به مثل شق طريق به أو هدمه(الفرسطائي، 1997، الصفحات 213-214).

وقد أشار إلى نوع مادة الإنشاء المناسبة لبناء الخندق (الحجر والخشب) لأمرين اثنين أولهما أن مادة البناء المشار إليها متوفرة وسهل الحصول عليها دون مشقة، وهي مادة لا تحتاج إلى التشكيل أو التنقل بعيدا للحصول عليها، وتقنيات البناء بهما سهلة يمكن مزجهما بما يناسب شكل كل وحدة بنائية، والأمر الثاني أنها مناسبة لمنع تسرب المياه لعدم مسامية الحجارة، أما الخشب يدعم ويسند الحجارة، وبه تقام الجسور، مع إمكانية استعمال مواد تجعل من الحجارة أو الخشب أكثر فعالية مثل المواد اللاحمة (مواد الربط) بأنواعها المختلفة. وعلى كل الخندق في عمارة القصر الصحراوي إضافة إلى أهميته الدفاعية له فوائد أخرى مثل مادتي الخشب والقصب – التي تنبت به–، والتي تستعمل في صناعات مختلفة مثل البناء، زيادة إلى السمار والأشجار لعلف الحيوان.

5–4 أبواب القْصَر

واستكمالا الى ما ذكرناه حوت أسوار القصور على مداخل وأبواب رئيسية (صورة –4–)، تعكس الطابع العسكري للسيطرة على الحركة من وإلى القصر، وقد يكون للقصر باب واحد أو تتعدد أبوابه بحسب الحاجة، وما يناسب الولوج إليه والخروج منه، ويراعى في سعتها وضيقها مقدار ما يدخل جميع ما يحتاجون دخوله فيه، وفي غلقها أو فتحها ليلا أو نهارا ما يحقق حماية الأموال والأنفس، ويجعل الفرسطائي للقصر أربعة أبواب في اتجاه شمال، جنوب، شرق، وغرب، لم يعرف لنا مادة بنائها أو أنها مشكلة من مصراع أو مصراعين، لكنه ذكر أنها تزود بأقفال ومفاتيح، يراعى مدى صلاحيتها وتغييرها إذا بليت بمثلها أو أحسن منها.

إن غلق هذه الأبواب ليلا أو في حالات الخوف والخطر يساعد على أمن القْصَر وسهولة المراقبة، وزيادة على ذلك يمكن منع دخول الغريب أو مبيته إن كان في ذلك خطرا على قوم القْصَر، وتخصيص حارس أو مجموعة حراس بحسب

الحاجة من أهل القْصَر أو من غيرهم، وقد يحرس أهل القْصَر بالتناوب سواء بالشهور أو الأيام أو أقل أو أكثر، وقد يحرسوا قصرهم بأنفسهم باقتسام أجزاء القْصَر أرباعا أو أثلاثا أو أقل من ذلك أو أكثر، ويجوز أن يجعلوا حارسا لقصرهم بالأجرة، ويجعلون في ذلك ما يشاؤون من الحرس قلوا أو كثروا(الفرسطائي، 1997، الصفحات 208-222-223-228).

5-5 المسجد

يصادف الزائر للقصور الصحراوية بعد دخوله مباشرة أهم معلم أو منشأة دينية وهي المسجد الجامع، الذي غالبا ما يكون عبارة عن بناية مستقلة، تحتوي على جميع المرافق الضرورية لأداء الصلاة، من بيت للصلاة ومرافق صحية خاصة بالوضوء، وغرف خاصة بتعليم الصبية، ويمثل المسجد النواة المركزية في تشكيل وتوحيد النسيج الحضري للقصور (صورة – 5-)، لذلك غالبا ما يشغل وسط القْصَر، لغاية تقريب الجامع من مساكن المصلين حتى يسهل عليهم التوجه إليه من جميع الأطراف، فهذا المرفق يستخدمه المصلون خمس مرات في اليوم(عزب، 1998، صفحة 105)، وكل حي من الأحياء قد يحوي على مصلى أو مجموعة من المصليات لتأدية الصلوات الخمس، أما صلاة الجمعة والأعياد الدينية فتقام بالجامع الكبير.

وقد يكون موقع المسجد خارج القْصَر عند الضرورة، نستشف ذلك من قول الفرسطائي "إن كان المسجد خارجا من القْصَر فليجعلوا إليه طريقا يوصل إليه منه، ويبدو أن إقامة المسجد خارج السور مقصده عدم السماح بدخول الغرباء، لتحقيق الأمن وإبعاد أنظار الغرباء عن داخل القْصَر(بن قربة، 2011، صفحة 440)، غير أننا افتقدنا في مضمون كتاب القسمة وأصول الأرضين معلومات تكفي حاجتنا لما تعلق بعمارة الجوامع والمساجد ومواد إنشائها وعلاقتها بنسيج عمران القصور.

5-6 الساحة

وهي مساحة واسعة غير مبنية نجدها عموما في مركز القْصَر قريبة من المسجد الجامع أو تتوسط أحياء سكنية، وهي تلعب دورًا كبيرًا من الناحية العمرانية والنشاط الاجتماعي والاقتصادي والاحتفالات الدينية، تسهل حركة المرور داخل القْصَر في ملتقى الشوارع والأزقة، وتزود التجمعات السكنية بالهواء والضوء، ومن الأمور الواجب الأخذ بها في ما يخص ساحات القصور – حسب الفرسطائي – إصلاح ما انخرق منها مثل انجراف التربة بالماء، أو ما جلبت لها الريح من رمال، وكنس غبارها، وإقامة آبارها، وعدم الضرر بها مثل تقليص مساحتها بتوسع عمارة المنازل والبيوت على حسابها، أو حفرها– للآبار مثلا–، أو يتخذ فيها معدنا للحجر أو الطين، أو مربطا للدابة، أو موضعا يجمع فيه الكناسة أو المزبلة، أو يجعل فيه مرحاضا، غير أنه عند الضرورة وفي الحالات الاستثنائية ولآجال معينة يمكن استغلال الساحة لوضع مقدار من الحجارة أو الخشب أو الطين أو الجبس لبناء البيوت والمنازل(الفرسطائي، 1997، الصفحات 41-201-202-203).

5-7 الشوارع

تعد الشوارع شرايين القصور، لذا أولاها أفراد مجتمع كل قْصَر عناية فائقة باعتبارها أماكن مشتركة بينهم، وفق ما أملته الشريعة الإسلامية بشأنها، التي تحث على نظافتها وعدم إعاقة حركة المارين بها، إضافة إلى أنها تلعب عدة أدوار منها ما هو عمراني كسبل للتنقل والمواصلات، تنطلق من النقطة المركزية المتمثلة في المسجد الجامع وتربطه معالم ووحدات النسيج العمراني،ولها دور طبيعي مثل تحريك الهواء داخل الْقَصر، ومنع تسرب الرياح، وترمز إلى التماسك الاجتماعي بين أفراد مجتمع الْقَصر.

وأبرز الفرسطائي أهمية زقاق الشارع كظاهرة عمرانية مشتركة في عمارة قصور الواحات(بن قربة، 2011، صفحة 440)، وحدد شوارع القصر وأزقته على ثلاثة أوجه هي: الشارع الذي يسلكه العامة (صورة -5-)، والسكة النافذة التي تكون لقوم مخصوصين، والسكة غير النافذة التي تكون للعامة وللخواص، حيث يحدد أحقية الجواز في شارع العامة للذي له دار فيه، يجوز بنفسه وعياله ومواشيه وجميع منافعه، وكذلك من لم يكن له فيه دار سواء كان مسافرا أو من أهل القصر يجوز له السلوك فيه بجميع ما لا يضر به أهل الدور، ولا يمنع بعضهم بعضا من الجواز فيه(الفرسطائي، 1997، صفحة 170)، ويعرف هذا الشارع "شارع العامة" نظرا لعمومية استعماله داخل الْقَصر أي للجميع حق الارتفاق به، وهو في صورته العمرانية نافذ يوصل إلى غيره من الشوارع، ويتميز بملكية مشتركة جماعية لأنه في الغالب طريق عريض يسهل المرور به، ولا يمكن لأي شخص أن يمتلكها لنفسه.

أما السكة النافذة فهي للخواص مشتركة بينهم، ولا يحق لأحد أن يضر بجاره بتعديه على الشارع، وهذا النوع من السكة يستعملها سكان الحي الواحد، ولهم حرية الارتفاق بها دون غيرهم، في حين النوع الثالث وهو السكة غير النافذة فإن كانت للخواص فهي مشتركة بينهم تضفي إلى المنازل الخاصة داخل الحي المشترك الملكية، وإذا كانت للعامة فهي مثل شارع العامة(الفرسطائي، 1997، الصفحات 171-172).

ويتم ربط الدور بالشبكة العمرانية للْقَصر، حيث الدار يكون لها طريق واحد إذا لم يكن لها إلا باب واحد، وإن كان لها بابان أو أكثر من ذلك، فلها لكل باب طريق، وإذا كانت منفردة وحدها في الْقَصر فيكون لها طريق مما يقابل بابها حتى يلاقي طريق العامة، وإن لم يكن طريق العامة فلها ما لا يستغني عنه في واحد من الطرق إلى السوق والمسجد والماء وما أشبه ذلك، وكذلك الداران والثلاثة إذا كانت متجاورة في موضع واحد، يكون لها طرقها مما يقابل أبوابها(الفرسطائي، 1997، صفحة 170)، ونرى في ذلك حق الساكنة في الطريق للربط بين المسكن وباقي المرافق.

إن ما يميز بعض شوارع الْقَصر "الساباط"، وهو الجزء المسقف من الشارع (صورة -2-)، الذي يعطي للسائر في فصل الصيف الظل والهواء المنعش، ويحميه من أشعة الشمس الحارقة– مكان مظلل طوال اليوم–، ويزيد من تماسك جدران

المنازل من حوله، ويسمح ببناء غرف أعلاه، وهنا يلعب الساباط دورا وظيفيا من خلال الحجرة التي تستخدم فوقه، ويضفي ذلك جماليات تشكيلية على القْصَر من خلال هيئته، وهو عنصر استعمل بطريقة نموذجية في العمارة الصحراوية بسبب شدة الإشعاع الحراري حيث تكون هذه المعابر على شكل جسور معلقة تعلو الفراغ، وتربط جناحي المسكن الواحد وأحيانا تربط بين بيتين متقابلين(ثويني، 2005، صفحة 394)، وتتميز الشوارع غير المسقوفة في عمومها بتوجيهها شمال–جنوب، لتفادي تعرضها لأشعة الشمس طيلة ساعات اليوم، بالإضافة إلى أن هذا التوجيه يساعد على استقبال الرياح الشمالية المحملة بالرطوبة والبرودة مما يؤدي إلى التخفيف من شدة الحرارة.

ووضح الفرسطائي أن لا يكون في الساباط (السقيفة) مضرة مثل ما يضر بمن يمر من الناس في القْصَر، أو يربط فيه بالليل أو النهار، وكذلك الصناع كلهم من الخزازين (الخراز صانع الأحذية) والجزارين وغيرهم يمنعون من القعود في السقيفة ونصب صنائعهم فيها(الفرسطائي، 1997، صفحة 204).

إن شبكة الطرق بمستوياتها المختلفة تعد شرايين بين أقسام القْصَر العمرانية، تسمح بالاتصال المباشر مع ضواحي القْصَر من خلال أبوابه الرئيسية، وبفضلها يتم الربط بين المناطق السكنية الأساسية في القْصَر وبين مركز القْصَر وأبوابه وحتى أسواقه الخارجية وضواحيه.

بخصوص الطرق الخارجية يذكر مؤلف القسمة وأصول الأرضين أن القْصَر يجعل له قومه مجازاته ومنافعه، مثل إقامة مسالك – بسعة محددة – تؤدي إلى منافع مجاورة، أي أن يجعل للقصر مجازات بحسب الحاجة التي تفرض نفسها، كإحداث طريق يؤدي إلى المراعي، وآخر إلى الجبل، وواحد إلى الماء، ومثله إلى السوق، وإن أمكن أن يجمع هذا كله إلى طريق واحد فلا بأس، وإن تعددت فهو أمر مقبول(الفرسطائي، 1997، الصفحات 118–120) على أن يراعى دفع المضرة عن ملاك وأصحاب الأراضي في إقامتها، ويحدد لنا سعة المجازات الخارجة من القْصَر حسب ما جعلت له كما يلي:

– طريق الرجالة (المشاة على الأرجل) حريمه ثلاثة أذرع.

– طريق السقاية حريمه خمسة أذرع

– طريق الحطابة حريمه ستة أذرع

– طريق محامل الحمير والزنابل والغرائر والراويات حريمه سبعة أذرع، وكذلك تلاليس الحمير والبغال وأحمال الحطب.

– وكذلك طريق الحمير والبغال والخيل والبقر حريمه سبعة أذرع.

– طريق الجمال على اختلاف ما يحمل عليها حريمه اثنى عشر ذراعا.

– طريق المواشي أربعين ذراعا إلى الماء وإلى المرعى.

– طريق قوافل الحجاج أربعين ذراعا.

– الطريق الذي تختلط فيه هذه الأصناف فإنهم يأخذون بالأكثر منها(الفرسطائي، 1997، الصفحات 533-534).

5-8 السوق

لتنشيط الحياة التجارية يجعل للْقَصر سوقا، وهو على نوعين؛ سوق غير مبني وهنا ربما تستغل ساحة الْقَصر لتحريك التجارة، أو يكون السوق به بيوت ودكاكين أو ما تسمى (خصوص)، وقد يكون السوق داخل الْقَصرأو خارجه، فيقول الفرسطائي: "إن أراد أهل الْقَصر أن يجعلوا في قصرهم سوقا واتفقوا على ذلك فلهم ذلك"، ويبدو من حديثه حول إقامة الطرق خارج الْقَصر لتؤدي إلى منافع متنوعة مثل السوق أنه قد يستثنى إقامة السوق خارج القصر لعدم السماح للغرباء من دخول القصر خوفا من غدرهم أو يدلوا على عوراتهم(الفرسطائي، 1997، صفحة 504).

زيادة على السوق قد تمارس أنشطة اقتصادية في بيوت وغرف على طول شارع أو أكثر، وقد يقسم فضاء عمراني إلى وحدات معمارية صغيرة؛ حيث أشار الفرسطائي ونظم بعض الأنشطة وفق مبدأ "لا ضرر ولا ضرار"، حيث يكون لكل صناعة أو نشاط تجاري موضع خاص به، ومن بين المهن التي اشتغلها الناس داخل القصور نذكر منهم الجزار، الحطاب، التاجر، الحداد، النواء (من يبيع نوى التمر)، والنداف (الذي يندف القطن)، والقصار (محور الثياب ومبيضها)، والنجار، والبطاط (المسعف مداوي الجراح) والخراز (صانع الأحذية)، ومنهم من عمل في الفرن أو التنور، الرحى، المعصرة، والحمام، ويراعى في ذلك عدم الضرر بالجار ونظافة محيط الشغل(الفرسطائي، 1997، الصفحات 205-240-243).

5-9 المنازل

المنزل أو المسكن كما يذكر ابن الربيع من الأمور التي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها كالغذاء واللباس والعلاج، بالمسكن يصون به النفس ويحرسها من تطّرق الآفات، ويدفع به عن نفسه ألم الحر والبرد والرياح(ابن أبي الربيع، 1996، صفحة 93)، وللمسكن في الإسلام حرمة وقداسة وخصوصية إذ يمثل الحصن الذي تعيش فيه الأسرة.

إن بناء مساكن الْقَصر أو دوره لها أحكامها التي تقوم على مبدأ «لا ضرر ولا ضرار»، حيث يمنع إلحاق الأذى بالجار أو الطريق أو الساحة، ويذكر صاحب القسمة وأصول الأرضين بعض من حقوق الجار على الجار يجب مراعاتها مثل أحقية منع صاحب المنزل لجاره إذا جعل عليه الظل ببنيانه، مثل الظل الذي يمنع منه الشمس عند طلوعها أو غروبها، أو ظل الحائط القبلي الذي يمنع ضوء الشمس على الأجنة والزروع والنبات، ويمنعه أيضا ألا يعلوه ببنيانه حتى يشرف عليه لئلا يدخل عليه المضرة، وإن بنى حتى أعلاه ببنيانه فإنه يمنعه أن يطلع على بنيانه ما يواريه إذا طلع عليه، أو يجعل له أوقات معلومة يطلع فيها لحاجته، ويمنع جاره أن يجعل على حيطانه ما يضره، مثل الشوك أو ما يشبه ذلك مما يؤذيه من وقوع ذلك داخل مسكنه، أو يمنعه من الممر لحاجته، كما يمنعه في حال تطويل حيطان المنزل إذا كان فيها ضرر مثل ميلانها، أو

تخوف انهدامها على الجار، أو إحداث ميزاب لبيت على بيت الجار(الفرسطائي، 1997، الصفحات 173-187-234-235).

وأما توسيع البنيان بالبناء في السكة فهو غير جائز، وإن أراد رجل جعل داره فندقا للمسافرين، أو حوانيت، أو رحى، أو حمامات، أو معصرة، أو فرنا، أو مارس أحد الأنشطة السالفة الذكر، وكل ما تجتمع إليه الناس ويضره به جاره، فإنه يحق لجيرانه أن يمنعونه من ذلك، إضافة إلى احترام المجازات ومالا يستغنى عنها من الطريق لمن يدخلها، ومن يخرج منها، ومن يأوي إليها، والمقاعد التي يضر بها جاره أو الأندرا (الكدس من القمح) أو المربد(محبس الإبل وما شاكلها)(الفرسطائي، 1997، الصفحات 173-175-230-542543).

5-10 مواد وتقنيات البناء

إن البحث في كتاب القسمة وأصول الأرضين مكننا من الوقوف على طبيعة مواد بناء عمارة القصور بحسب ما توفره البيئة المحيطة – نشير في بحثنا هذا إلى أهمها-، وجدناها مواد إنشائية متنوعة استعملت في إنجاز العمائر العامة منها والخاصة، ووظفت بحسب خصائصها والحاجة إليها في تشكيل وحدات عمارة المنشآت(بحر، 1992، صفحة 26)، ونجد من بين مواد البناء المستخدمة الحجارة، التي تعتبر مادة بناء رئيسية تستعمل بأحجام مختلفة، وتستخدم بشكل كبير في بناء أسس وأرضيات المنشآت بكل أنواعها لمقاومتها للرطوبة والسيول الجارفة ولقدرتها على تحمل الثقل، وقد تبنى بها جدران كاملة، كما تستعمل الأعمدة والتيجان الحجرية بشكل دعامات لبعض المنشآت المعمارية.

وظف الطين والجبس في بناء القصور الصحراوية؛ لخاصيتهما من حيث اللزوجة والاحتفاظ بالماء وسهولة التشكيل والمزج والنشر(حملاوي، 2006، صفحة 290)، والتماسك مع العناصر الملاصقة لهما بدرجة كافية بعد التصلب، ودوام عملهما لمدة طويلة، وهما عنصران مهمان بوصفهما ملاطا ومادتين لاحمتين ومثبتتين تستعملان في ربط وتقويم وحدات ومداميك البناء وأخشاب التسقيف والحمل(سيف، 2004، صفحة 181)، ويعدان كذلك مادتين عازلتين للحرارة في فصل الصيف، ومانعتين لتسرب البرد في فصل الشتاء، ولا تسمحان بتسرب ونفاذ المياه من خلال المفاصل البنائية، ومقاومتين للعوامل الجوية والطبيعية، تكسى وتلبس بهما الجدران وسطوح المباني.

أستعمل الطين في تشكيل الطوب مربعا أو مستطيلا محروقا (آجر) أو غير محروق (لبن)، غير أن هذا الأخير عرف إقبالا واسعا في تشييد القصور الصحراوية، لإمكانية الحصول عليه بشكل كاف وسهل، وشكل الطوب اللبن (المجفف) حلًد العناصر الرئيسية المكونة في البناء، وهي مادة لا تستعمل مباشرة بل تشكل عبر مراحل بدء ً ا من تحضير الطين إلى مزجه بالماء والرمل والتبن والقش إلى التشكيل والقولبة والضغط والتسوية والتجفيف للحصول على وحدة مناسبة وجيدة للبناء، ثم يتم بها بناء الجدران أو الأسطح أو الأعمدة والدعامات(ساكو، 1982، صفحة 170).

لا نهمل بعض مواد التشييد الأخرى مثل الأخشاب بأنواعها المختلفة، وهنا لابد من الإشارة إلى أهمية النخل في عمران القصور الصحراوية، كونه مصدرا غذائيا كبيرا، ويعتبر سكان الصحراء التمر مؤونتهم الرئيسية على طول السنة، كما تستخدم جذوع وجريد وسعف وكرناف النخل في التسقيف وصناعة مصاريع الأبواب وتغشية النوافذ، والتدفئة في فصل الشتاء ومصدر وقود الطهي والتدفئة.

في كتاب القسمة وأصول الأرضين ترد معلومات عن مواد وأساليب بناء البيوت والمنازل، حيث يحفر موضع الأساس -يوسع أو يضيق بحسب الحاجة- ويستعمل الخشب لتشييده وضبط سعته، ثم تبنى الحيطان إما من الحجارة أو اللبن أو الأجر أو القراميد، ويتم تطيينها وتكسيتها(الفرسطائي، 1997، الصفحات 235-246) حتى تعمر وتقاوم العوامل المناخية مثل التساقط، تغيرات الحرارة، الرياح المحملة بالرمال والأتربة، ولاشك أن تراتب مواد بناء الجدران – السابقة الذكر – تصاعديا يراعي خصائص كل وحدة حيث الحجارة أكثر صلابة وقدرة على تحمل الأثقال ومقاومة للرطوبة وجريان السيول تستعمل في الأسس وقد يستمر البناء بها إلى الأعلى، أما اللبن مثلا فهو أقل صلابة ومقاومة لعوامل التلف الطبيعية من رطوبة وتهاطل للأمطار وتغيرات في درجات الحرارة والرياح المحملة بالأتربة والرمال، يكون البناء بها أعلى حجارة الأساس، ويتم تكسيتها وتلبيسها حتى تصبح أكثر مقاومة.

بعد بناء الجدران يتم تسقيف البيوت أو الغرف بالخشب والحصير والقصب والحجارة والطين والجير (صورة -3-)، ثم يتم تكسية وتمليس وتطيين جدرانها، ثم يتم تحويط أعلى البيوت والقاعات ببناء سور أو ما يعرف بالسترة (الداير)(الفرسطائي، 1997، الصفحات 205-259-260)، الذي يشكل مجال معيشي مهم في المناطق الحارة، لا يمكن الاستغناء عنه على مدار السنة تقريبا، حيث يستعمل السطح غير المسقف – المنفتح على السماء – لتجفيف الملابس أو الصوف، أو عرض المحاصيل للتهوية وأشعة الشمس، كما يستعمل للنوم والسمر ليلا في فصل الصيف حيث الهواء المنعش، أما وحدات البيوت تستعمل لأغراض مختلفة مثل مخازن للغلات أو لإيقاد النار .

خاتمة

وأخيرا يمكن القول أن إنسان المناطق الصحراوية قليلة المياه والشجر وشديدة الحر، استطاع أن يجد له نمطا عمرانيا صحراويا متميزا عن باقي المناطق الأخرى، يتناسب وهذه البيئة القاحلة، متجسدا بطابع القصور الصحراوية، التي قام نسيجها العمراني وفق تقاليد حضارية سادت واستجابت لأمور منبثقة عن الدين الإسلامي الحنيف الداعي إلى المحافظة على الحرمة واحترام الآخرين، وكذا النظافة والتعاون والتماسك في ما بين المسلمين.

قدم كتاب القسمة وأصول الأرضين قواعد وأفكار عمرانية إسلامية في تشييد القصور؛ منها ما تعلق باختيار الأرضيات المعلوم أصحابها، والتي تقسم بين القوم على قدر حصصهم، ومنها مراعاة التخطيط المسبق لهذه الأرضيات

خاصة تحديد مداخل القصر وشوارعه الرئيسية (الممتدة شرقا وغربا – قبلة وشمالا)بمستويات وسعات كافية، وقد أبرز لناالفرسطائي (ت 504 هـ) أهمية شوارع القْصَر، وجعلها على ثلاث مستويات شارع (عام)، سكة نافذة (خاص)، وسكة غير نافذة (عام خاص).

ولعل الخاصية التي ميزت القْصَر وتحدث عنها الفرسطائي ووقف عندها هي التحصين الدفاعي المتكون من الأسوار والفياصل والخنادق والمداخل، على اعتبار أن الأمن عامل أساسي في المحافظة على الأنفس والأموال والخيرات والعمران، كما أشار إلى أن تشييد مختلف أنواع العمارة لها أحكامها التي تقوم على مبدأ «لا ضرر ولا ضرار»، حيث يمنع إلحاق الأذى بالجار أو الطريق أو الساحة، غير أننا نعيب على هذا المصدر معلوماته الشحيحة في ما تعلق بعمارة المسجد.

ومن بين المسائل المهمة التي نبه إليها الفرسطائي في تشييد القْصَر هي الأخذ برأي أهل الصلاح والعلماء والمعماريين والعارفين في قضايا العمارة، حتى تصلح الجهود وتحقق غايات البنيان، كما لم يغفل عنه قضايا الصيانة والترميم ودفع مسببات التدهور المعماري. غير أننا نعيب على هذا المؤلف عدم التفصيل في بعض المسائل من أبرزها أنه لم يبين لنا مصادر المياه ومنشآتها التي يعتمدها قوم القْصَر لتزويد الخندق بكميات الماء اللازمة، وكذلك ما تعلق بعمارة الجوامع والمساجد ومواد إنشائها وعلاقتها بنسيج عمران القصور.

الملاحق

الصورة –1–: منظر عام لقصر تماسين

المصدر:من عمل الباحث

الصورة –2–: شارع مغطى (ساباط) – قصر تماسين

المصدر:من عمل الباحث

الصورة –3–: طريقة تسقيف (قصر تماسين)

المصدر:من عمل الباحث

الصورة –4–: باب "مدخل" رئيسي (قصر تماسين)

المصدر:من عمل الباحث

الصورة –5–:شارع رئيسي ومئذنة مسجد سيديالحاجعبدالله

المصدر:من عمل الباحث

الشكل –1–: مخطط عام لقصر تماسين

ش↑

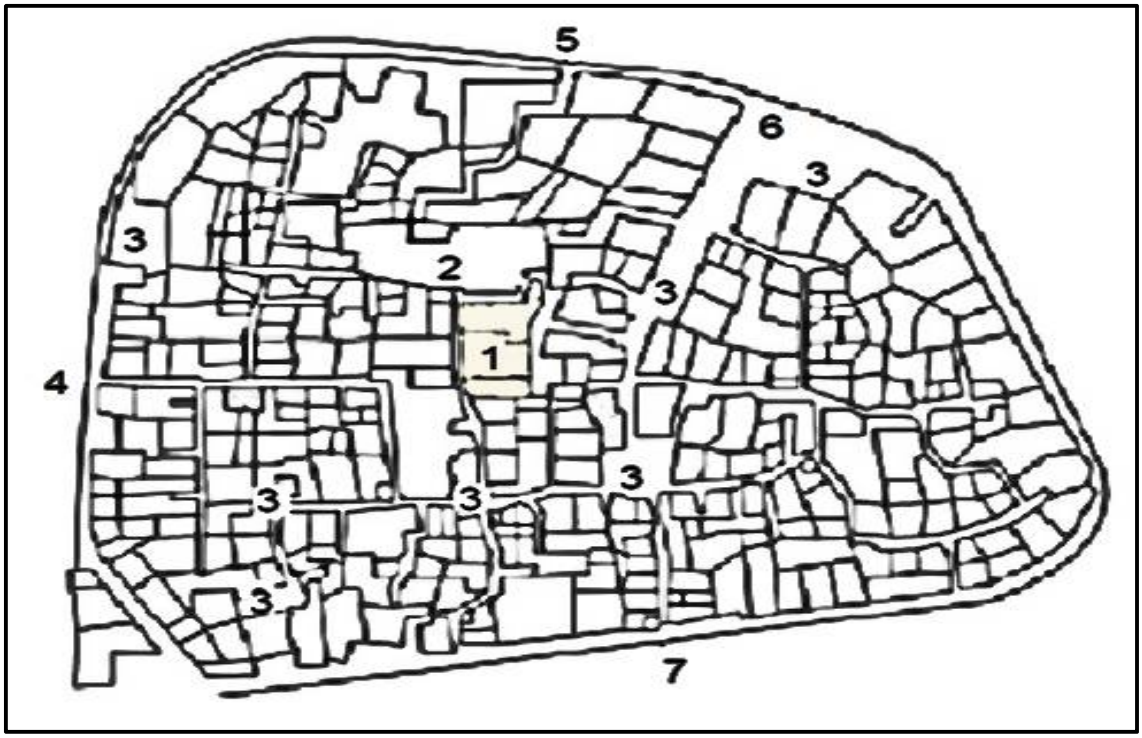

1: مسجد 2: سوق 3: ساحة

4: مدخل السوق 5: مدخل الخوخة

6: مدخل الزنقة 7: مدخل لعلا أنجروة

المصدر: مديرية التعمير والبناء – ورقلة –

قائمةالمراجع

. القرآن الكريم.

.ابو الفضل جمال الدين ابن منظور، (د.ت). لسان العرب، بيروت: دار صادر.

. ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، (د.ت). تاريخ الطبري، الأردن: بيت الأفكار الدولية.

. ابي العباس احمد الفرسطائي، (1997). القسمة وأصول الأرضين، ط2. غرداية: المطبعة العربية.

. أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، (1984).طبقات المشايخ بالمغرب، ط1. قسنطينة: مطبعة البعث.

. ارتين ليفون، زهير ساكو، (1982). إنشاء المباني، ط1. العراق: جامعة بغداد.

. أنور محمود زناتي، (2011). معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1.عمان:دار زهران للنشر والتوزيع.

. تادايوش ليفيتسكي، (2007). المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، مؤسسة تاوالت الثقافية.

. خالد محمد مصطفى عزب، (1998). تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

. رغد جمال مناف العزاوي، (2013). العمارة الأندلسية "من القرن الثاني الهجري إلى الخامس الهجري"، رسالة دكتوراه غير منشورة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة بغداد، العراق

. رئيف مهنا، يسن بحر، (1992). نظريات العمارة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

. شهاب الدين ابن ابي الربيع، (1996). سلوك المالك في تدبير الممالك، دمشق:دار كنان.

. صالح يوسف بن قربة، (2009). تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي "دراسة تاريخية وأثرية"، الجزائر: منشورات الحضارة.

. صالح يوسف بن قربة، (2011). أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، عين مليلة: دار الهدى.

. عبد الصمد زايد، (1992). عالم القصور بالجنوب الشرقي التونسي، تونس: بيت الحكمة.

. عبد الله كامل موسى، 2008). الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية والمشرق والمغرب "خلال العصرين النبوي والراشدي"، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

. علي ثويني، (2005). معجم عمارة الشعوب الإسلامية، بغداد: بيت الحكمة.

. علي حملاوي، (2001). القصر بالجنوب الجزائري "مفهومه ومكوناته"، الجزائر: مطبعة سومر.

. علي حملاوي، (2006). نماذج من قصور منطقة الأغواط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

ئص. علي سعيد سيف، (2004). مآذن مدينة صنعاء حتى نهاية القرن 12هـ18/م "دراسة أثرية معمارية". اليمن: وزارة الثقافة والسياحة.

. مبارك قبابلة، (2010). تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الصحراوية، جامعة بسكرة، الجزائر.

. محمد أمراني علوي، (2011). القصور بالجنوب المغربي، الرباط: مطبعة دار المناهل.

. محمد بن موسى بابا عمي، (2000). معجم أعلام الإباضية، ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

. محمد عبد الستار عثمان، (2015). أثر الأحكام الفقهية على العمارة الإسلامية في المناطق الإباضية حتى نهاية القرن 6هـ/12م، ط1. سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

. محمد عياش، (2006). الإستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديدة والمنصورة بتلمسان –دراسة تاريخية وأثرية–، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر.

. محمد موهوب بن أحمد بن حسين، (د.ت) قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، عين مليلة :دار الهدى.

. محمد نجيب بوطالب، (2010). الأبعاد الحضارية لظاهرة القصور بالجنوب الشرقي، تونس: طباعة أوريس.

. مصطفى شاكر، (1997). المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط2. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

. ياقوت الحموي، (1977). معجم البلدان، بيروت: دار صادر.